﴿بَلۡ هُوَ ءَايَٰتُۢ بَيِّنَٰتٞ فِي صُدُورِ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَۚ وَمَا يَجۡحَدُ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَّا ٱلظَّٰلِمُونَ ٤٩﴾ [العنكبوت: 49]

❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِما قَبْلَها:

استدراك تزكية الرسول بتزكية المُرْسَل (القرآن) ردًّا على ما يفتريه الظّالمون

بعد أن ذكر في الآية السّابقة الردَّ على أهمّ حجج المبطلين في دعواهم بأنّ محمّدًا قد تعلّم الكتاب على يد مَن سبقه من الرّهبان، فأكّد أنّه لا يقرأ ولا يكتب، وبعد أن زكّى رسوله من افتراءات الظّالمين المُبطلين فقد ناسب هُنا أنْ يزكّي القرآن ممّا افتروه بقولهم سحر أو كذب، وهو آيات بيّنات واضحات، تستقرّ في صدور الّذين أوتوا العلم وهي أزكى مكان؛ لأنّ الّذين أوتوا العلم هم الأنبياء أو هم ورثتهم من العلماء.

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿صُدُورِ﴾: (صدر) أصْلانِ صَحيحانِ، أحَدُهُما يَدُلُّ عَلَى خِلافِ الْوِرْدِ، والْآخِرُ صَدْرُ الْإنْسانِ وغَيْرُهُ، وجَمْعُه: صُدورٌ، قالَ اللّهُ تَعالَى: ﴿وَلَٰكِن تَعۡمَى ٱلۡقُلُوبُ ٱلَّتِي فِي ٱلصُّدُورِ ٤٦﴾ [الحج: 46][1]، وهو من الصَّدر: أعْلى مقدَّم كلّ شَيْء، فصَدْرُ القَناة: أعْلاها، وصَدْرُ الْأمر أوّله، والصُّدْرةُ من الْإنْسان: ما أشرَفَ من أعْلى صَدْرِه[2]، وهو بهذا المعنى: الجارحة المعروفة، قال تعالى: ﴿رَبِّ ٱشۡرَحۡ لِي صَدۡرِي ٢٥﴾ [طه: 25][3]، فقوله: ﴿فِي صُدُورِ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَۚ﴾؛ يكون موضع الآيات في أعزّ مكان عند الإنسان، وهو موضع القلب، ومَكْمَنُ العلم والقوّة.

2) ﴿بَيِّنَٰتٞ﴾: (بان - بين) أصْلٌ واحِدٌ، وهوَ بُعْدُ الشَّيْءِ وانْكِشافُهُ،

(1) ابن فارس، مقاييس اللّغة: 3/ 337.
(2) الأزهريّ، تهذيب اللّغة: 12/ 94.
(3) الراغب، المفردات: 2/ 513.

وبانَ الشَّيْءُ وأبانَ إذا اتَّضَحَ وانْكَشَفَ[1]، و(البَيْنُ) في كَلامِ العَرَبِ جاءَ على وجْهَيْن: فيكونُ فُرْقَةً، ويكونُ وصْلًا، وهوَ مِن الأضْدادِ؛ وبانَ يَبينُ بَيْنًا وبَيْنونَةً، وبانَ بَيانًا: اتَّضَحَ، فهوَ بَيِّنٌ، والتَّبْيينُ: الإيضاحُ، وقوْلُه تعالَى: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ﴾ [النحل: 89]، أي: بُيِّنَ لكَ فيهِ كلُّ ما تَحْتاجُ إلَيْهِ أنْتَ وأُمَّتُك مِن أمْرِ الدِّيْن، وهَذا مِن اللَّفْظِ العامِّ الّذي أُريد بِهِ الخاصُّ[2]، والآيات البيّنات هي الواضحات الرّاسخات في صدور المؤمنين به[3] و﴿ءَايَٰتٌۢ بَيِّنَٰتٌ فِى صُدُورِ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ﴾ هما مِن خصائص القرآن: كونه آياتٍ بيِّناتٍ للإعجاز، وكونه محفوظًا في الصُّدور، بخلافِ سائر الكُتُبِ السَّماويَّة؛ فإنَّها لم تكن معجزاتٍ في حدود أنفسِها، وما كانت تُقرَأُ إلّا مِن المصاحفِ[4].

❁ المَعْنى الإجْماليُّ:

القرآن والرّسول ﷺ صِنوان في موارد الإعجاز

القرآن آيات بيِّنات في صُدورِ المؤمنين الّذين حملوا القرآن على عهد رسول الله ﷺ، وحملوه بعده[5]، وقال قتادة ومقاتل: بل يعني محمّدًا ﷺ، هو آيات بيّنات؛ أي: ذو آيات بيّنات في صدور أهل العلم من أهل الكتاب، لأنّهم يجدونه بِنَعْتِه وصِفَتِه، فهي آيات واضحات لا مجال لإنكارها، ومن أنكرها فقد جحد بها، فقال تعالى: ﴿وَمَا يَجْحَدُ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَّا ٱلظَّٰلِمُونَ﴾، أراد كفّار اليهود[6]، خصوصًا، والمعنى عامٌّ شامل لكلِّ من يجحد بهذه الآيات البيّنات.

❁ الإيضاحُ اللُّغَويُّ والبَلاغيُّ:

معنى ﴿بَلْ﴾:

توجيه النّظر إلى إعجاز القرآن ومعجزات الرّسول

قوله: ﴿بَلْ هُوَ ءَايَٰتٌۢ بَيِّنَٰتٌ﴾ أفادت ﴿بَلْ﴾ الإضراب، وقد تمّ

(1) ابن فارس، مقاييس اللّغة: 1/ 327.
(2) الزّبيديّ، تاج العروس: 34/ 293.
(3) الطّنطاويّ، التّفسير الوسيط: 11/ 48.
(4) ابن كمال باشا، تفسير ابن كمال باشا: 8/ 103.
(5) الواحديّ، التّفسير الوسيط: 3/ 423.
(6) الواحديّ، التّفسير الوسيط: 3/ 423.

الإضراب عن مقدّر من الكلام يقتضيه ما تقدّم كأنّه قال: (ليس الأمر كما حسبوا)[1]، فأفاد توجيه الكلام وفق رؤية جديدة محورها إعجاز القرآن، أو مُعجزات النّبيّ ﷺ، وقوله: ﴿بَلْ هُوَ﴾؛ أي القرآن، وهذا إضراب عن ارتيابهم؛ أي ليس القرآن مما يُرتاب فيه لوضوح أمره؛ فقال: ﴿بَلْ هُوَ ءَايَـٰتٌۢ بَيِّنَـٰتٌ﴾ واضحات ثابتة راسخة[2]، فالقرآن محفوظ فِي صُدورِ العلماء به وحُفّاظِهِ، وهذا الحفظ من خصائص القرآن الكريم؛ كون آياته بيّنات الإعجاز، وأنّ الله قد تكفّل بحفظه، وكونه محفوظًا في الصدور، يتلوه كثير من الأمّة ظاهرًا بخلاف سائر الكتب، فإنّها لم تكن معجزات، وما كانت تُقرَأ إلّا من المصاحف[3].

بيان المُبْطَل بـ﴿بَلْ﴾:

القرآن منزّهٌ عن كلّ ريب، مبرّأٌ من كلّ عيب

وعلى المعنى المتقرّر في الفائدة السابقة تكون ﴿بَلْ﴾ إبطالًا لما اقتضاه الفرض من قوله: ﴿إِذَا لَّٱرْتَابَ ٱلْمُبْطِلُونَ﴾؛ أي بل القرآن لا ريب يتطرّقه في أنّه من عند الله، فهو كلّه آيات دالّة على صدق الرّسول ﷺ وأنّه من عند الله لِما اشتمل عليه من الإعجاز في لفظه ومعناه، ولِما أيَّد ذلك الإعجازَ من كون الآتي به أُمّيًّا لم يكن يتلو من قبله كتابًا ولا يخطّ كتابةً؛ بل هو آيات في صدر النّبيّ ﷺ ليست ممّا كان يُتلى قبل نزوله[4].

عَوْدُ الضَّمير ﴿هُوَ﴾:

محمّد ﷺ في ذاته آياتٌ بيّناتٌ

الظّاهر في الضّمير ﴿هُوَ﴾ أنّه عائدٌ على القرآن، ويؤيّده أنّ في قراءة ابن مسعود (بل هي آيات)، وقال قتادة: الضّمير للنَّبيّ ﷺ وقرأ: (بل هو آية بيّنة) على الإفراد، ويحتمل أن يعود على أمر محمّد

(1) ابن عطيّة، المُحرَّر الوجيز: 4/ 375.
(2) الآلوسي، روح المعاني: 11/ 7.
(3) الزَّمَخْشَرِيّ، الكشّاف: 3/ 463، وأبو حيّان، البحر المحيط: 8/ 362.
(4) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 21/ 12.

ﷺ في أنّه لم يتلُ ولا يخطُّ، وبكل احتمال قالت فرقة، وكون هذا كلُّه آياتٌ؛ أي علامات في صُدورِ العلماء من المؤمنين بمحمّد، يُراد به مع النّظر والاعتبار[1]، فكانت رسالة محمّد ﷺ كلُّها مُعجزاتٍ بيّناتٍ، وكان كتابه آياتٍ بيّناتٍ، وحديثُه ﷺ آياتٍ بيّناتٍ، بل كان محمّد ﷺ في ذاته آياتٍ بيّناتٍ، ويتبيّن أنّ في اصطفاء الضّمير ﴿هُوَ﴾ دون التّصريح بِعَوْدِهِ سَعَةً في الدّلالة، وتعدُّدًا في المعاني، وهذا بعضٌ من خصوصيّة النّظم القرآنيّ المتفرّد العظيم.

نكتة تنكير ﴿ءَايَٰتٌ﴾ وجمعها:

آيـات القـرآن عظيمة الشّأن

أفاد تنكير ﴿ءَايَٰتٌ﴾ في قوله: ﴿بَلۡ هُوَ ءَايَٰتُۢ بَيِّنَٰتٞ﴾ التّعظيم والتّفخيم، اللّذَين اقتضاهما السّياق في قوله: ﴿بَيِّنَٰتٞ فِي صُدُورِ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَۚ﴾، فبيّنَ عظيم شأن تلك الآيات أنّها أوّلًا بيّناتٌ، وثانيها أنّها مستقرّة في صدور أهل العلم، وهم أرفع النّاس قدرًا بعد الأنبياء؛ بل هم ورثتهم في ذلك، وفي جمع (الآيات) بيانٌ لكثرتها.

نكتة وصف الآيات بأنّها ﴿بَيِّنَٰتٞ﴾:

مع وضوح آيات القرآن فإنّ البشر يعجز عن الإتيان بمثلها

قوله: ﴿بَلۡ هُوَ ءَايَٰتُۢ بَيِّنَٰتٞ﴾؛ فوَصْفُ آياتِ القرآن بأنّها آياتٌ بيّناتٌ، دلّ على وضوحها وكمالها، وأنّها ليست ممّا يَعْجِزُ العقل البشريّ عن فهمها واستيعابها، فهي مُيَسَّرة للفهم والحفظ، ولكنّها في الوقت نفسه معجزة للنّاس؛ إذ يَعْجِز العقل البشريّ عن الإتيان بمثلها.

دلالة التّعبير بـ﴿بَيِّنَٰتٞ﴾ مادّةً وصيغةً:

البيّنات: بُعد الشّيء وانكشافه، واتّضاحه[2]، وآيات القرآن كذلك: بيّنات واضحات مكشوفات المَقصِد، لا لَبْسٌ فيها ولا غموض، فمن المجاز أنّها بيّنة واضحة تُرى من بعيد، كما يُرى كلُّ ما هو على مدّ البصر.

(1) ابن عطيّة، المُحرَّر الوجيز: 4/ 322، والآلوسي، روح المعاني: 11/ 7.
(2) ابن فارس، مقاييس اللّغة: 1/ 327.

معنى الظّرفيّة والاستعارة ﴿فِي صُدُورِ﴾:

أوعيةُ القرآن صدورُ أهلِ العلمِ والإيمان

دلّت ﴿فِي﴾ في قوله تعالى: ﴿فِي صُدُورِ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَۚ﴾ على الظّرفيّة والاحتواء، جاء في المقتضب: "وأمّا (في) فهي للوعاء"[1]، أي تفيد الظّرفيّة، فدلّ قوله: ﴿فِي صُدُورِ﴾ على أنّ صدور الّذين أوتوا العلم هي كالأوعية لها، وهي استعارة مكنيّة؛ فالصّدور كالأوعية لها؛ إذ حُذِفَ المشبَّهُ به وصرّح بالمشبّه وهي صدور الّذين أوتوا العلم، وهي إشارة إلى أنّه ليس من مخترعات الآدميّين؛ لأنّ من يكون له كلام مخترع يقول: هذا من صدري وقلبي وخاطري، وإذا حفظه من غيره يقول: إنّه في صدري وقلبي وخاطري، فإذا قال: في صدور الّذين أوتوا العلم لا يكون من صدر أحد منهم، بل في صدورهم، والجاهل يستحيل أن يكون منه؛ فظهوره من اللّه[2].

بلاغة الكناية في قوله: ﴿صُدُورِ﴾:

دلالةٌ على الإيمان العميق بآيات الله الّذي استحق معه المؤمنون أهليّة حَمْلِ القرآن

قوله: ﴿فِي صُدُورِ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَۚ﴾ كناية عن الإيمان العميق بها، والقناعة التّامّة بما جاءت به من الأدلّة والأخبار والعلم، والعمل بمضامينها وبذلك استحقّوا أهليّة حمل القرآن، وكونَهم من أهله؛ فأهلُه أهل اللّه وخاصّته، وأنعِمْ به من فضل.

بلاغة المجاز في ﴿صُدُورِ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَۚ﴾:

ذكر ابن عاشور أنّ المراد من قوله: ﴿صُدُورِ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَۚ﴾ صدر النّبيّ ﷺ وعبّر عنه بالجمع مجازًا تعظيمًا له[3].

غرض التّعبير بالاسم الموصول وصلته:

عموم العلماء من أهل الإيمان مشمولون بحوز الآيات في صدورهم

الغرض من التّعبير بالاسم الموصول من قوله: ﴿صُدُورِ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَۚ﴾ التّعميم لفائدة شمول عموم العلماء من أهل الإيمان،

(1) المُبَرِّد، المُقْتَضَب: 4/ 139.
(2) الفخر الرّازي، مفاتيح الغيب: 25/ 63.
(3) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 21/ 12.

فهم جميعًا حازوا الإيمان بتلك الآيات العظيمة، فكانت صدورهم كالأوعية لها[1].

دلالة بناء الفعل ﴿أُوتُواْ﴾ للمفعول:

في قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ﴾؛ أُسْنِدَ الفعلُ إلى المفعول ليدلَّ على عظيم شأن العلماء وفخامة قدرهم، وإلى عظيم ما حازوه من العلم؛ إذ بذلوا الجهد المطلوب في التّفكّر والاستدلال، وتنوّعت مصادر استقائهم العلمَ، وتعدّدت مشاربه؛ فحازوا معرفة الآيات البيّنات، ونالوا الإيمان بالله سبحانه، فهم أعظم الخلق شأنًا عند الله؛ لأنّهم ورثة الأنبياء، وما ذاك إلا بفضل الله تعالى عليهم، لأنّها آيات الله يؤتيها من يشاء من عباده سبحانه.

العلماء أعظم الخلق شأنًا بعد الأنبياء

معنى (أل) في ﴿ٱلۡعِلۡمَ﴾:

(أل) في لفظ ﴿ٱلۡعِلۡمَ﴾ في قوله: ﴿ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ﴾ للعهد، ودلّ على كمال العلم بتلك الآيات البيّنات، فهو العلم المعهود النّافع الذي يدلّ صاحبَه على الحقّ، ويدعوه إلى اتّباعه، فهؤلاء العلماء قد حازوا علمهم من مصدر القرآن والرّسول ﷺ؛ وهذان هما مصدرا الشَّريعة الأصيلَيْن، وهما خيرُ العلوم.

خيرُ العلوم العلمُ الّذي مصدره القرآن والرّسول ﷺ

المُراد بـ﴿ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ﴾:

قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ﴾ تعدَّدَتِ الآراءُ بالمراد من ﴿ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ﴾ على النّحو التّالي: الأوّل أنّه النّبيُّ ﷺ[2]؛ وعبّر عنه بالجمع للدّلالة على انتقال العلم الإلهيّ من الرّسول ﷺ إلى صحابته؛ الّذين تلقَّوُا العلم عن رسول الله ﷺ، فهو المصدر الوحيد الأوحد له، ومنهم إلى عُلماء الأمّة في كلّ عصر ومصر، إذ توارث العلماء عنهم علوم الشّريعة، والثّاني أنّهم العلماء من أهل الكتاب،

تعبيرٌ عن المصدر الأوحد لتلقّي العلم الإلهيّ

(1) السّيوطيّ، مُعْتَرَك الأقران: 3/ 589.
(2) ابن جرير، جامع البيان: 18/ 427.

فقد روى الطّبريّ بسنده إلى ابن عبّاس ﷺ قال: كان اللّهُ تعالى أنزَل شأنَ محمدٍ ﷺ في التوراةِ والإنجيلِ لأهلِ العلمِ وعلَّمه لهم وجعَله لهم آيةً، فقال لهم: إن آيةَ نبوَّتِه أن يَخْرُجَ حينَ يَخْرُجُ لا يَعْلَمُ كتابًا ولا يَخُطُّه بيمينِه، وهي الآياتُ البيّناتُ[1]، والثّالث أنّهم المؤمنون، وقد روى ذلك أيضًا الطّبريّ بسنده إلى الحسن البصريّ قال: (القرآنُ آياتٌ بيّناتٌ في صدورِ الّذين أوتوا العلمَ، يعني: المؤمنين) ثم رجّح الطّبريّ من الأقوال ثانيَها وهو أنّهم علماءُ أهل الكتاب[2].

نكتة العدول عن لفظ (العلماء):

تلقّي العلم عن رسول الله ﷺ

عدل البيان الإلهيّ عن لفظ (العلماء) إلى ﴿أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَۚ﴾؛ لأنَّ كثيرًا من العلماء قد لا يهتدون إلى ما في هذه الآيات البيّنات من الحقِّ فيَضِلّوا ويُضِلّوا، فقوله: ﴿ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَۚ﴾؛ دلّ على أنّهم أوتوا العلم الّذي يوصلهم إلى الغاية العُليا وهي الإيمان باللّه تعالى وبرسالاته، ومعنى العلم في قوله: ﴿أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَۚ﴾ هو العلم الّذي أوتيه النّبيّ ﷺ وهو النّبوّة كقوله تعالى: ﴿وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَا دَاوُۥدَ وَسُلَيۡمَٰنَ عِلۡمٗاۖ﴾ [النمل: 15][3]، بمضامينها، وتنوّع مصاديقها.

توجيه معنى جملة: ﴿فِي صُدُورِ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَۚ﴾:

تكفّل اللهِ تعالى بحفظِ القرآنِ الكريمِ أمارةُ استحالة تحريفه

حفظ الآيات في صُدورِ الَّذينَ أوتوا الْعِلْمَ من غيرِ أنْ يُلتَقَطَ من كتابٍ سبيلٌ لانتفاء تحريفِه[4]، فاللّه تعالى قد تكفّل بحفظه في كلّ عصر؛ ولعلّ صدور الّذين أوتوا العلم هي أعظم أوعية الحفظ له، وهذا بخلاف غيره من الكتب، وجاء في وصف هذه الأمّة (صدورهم

(1) ابن جرير، جامع البيان: 18/ 426، وأَثَرُ ابنِ عبّاسٍ عزاه السّيوطيّ في الدّرّ المنثور: 5/ 148، إلى المصنّف الطّبريّ، وابنِ مردَوَيْهِ، والإسماعيلي، وابنِ أبي حاتم.

(2) ابن جرير، جامع البيان: 18/ 427.

(3) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 21/ 12.

(4) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 7/ 43.

أناجيلهم)[1]، فمعنى الآية أنّ كونَه في صدر النّبيِّ ﷺ هو شأن كلّ ما ينزل من القرآن حين نزوله، فإذا أُنْزِلَ فإنّه يجوز أن يخطَّه الكاتبون، وقد كان النّبيُّ ﷺ اتخذ كُتّابًا للوَحْيِ فكانوا يكتبون الآية في حين نزولها، وكذلك يكون بعد نزوله متلوًّا[2]، وفي حفظ الآيات في الصّدور تتميمٌ للثّناء على القرآن، فيجوز أن يكون المراد بـ﴿صُدُورِ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَۚ﴾ صدور أصحاب النّبيّ ﷺ وحفّاظ المسلمين، وهذا يقتضي أن يكون قولُه: ﴿فِي صُدُورِ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَۚ﴾ تتميمًا للثناء على القرآن، وأنَّ الغرض هو الإخبار عن القرآن بأنَّه آيات بيّنات[3].

معنى الواو في قوله: ﴿وَمَا يَجۡحَدُ بِـَٔايَٰتِنَآ﴾:

(الواو) اعتراضيّة أو حاليّة، وجملة: ﴿وَمَا يَجۡحَدُ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَّا ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ لا محلّ لها اعتراضيّة – أو في محلّ نصبٍ حالٌ[4]، وكونُ الجحودِ والظلمِ حالَهم فهو مِنْ أشَدِّ نُعوتِ ذمِّهم، والتّشنيع عليهم.

بيان حال الظّالمين لجحودهم بآيات الله

بلاغة القصر في جملة الفاصلة:

في قوله تعالى: ﴿وَمَا يَجۡحَدُ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَّا ٱلظَّٰلِمُونَ﴾؛ قصرٌ إضافيٌّ دلّ على أنّ الجاحدين للآيات هم ظالمون لرسول الله ﷺ لفرط تكذيبهم بالآيات البيّنات، وهم ظالمون لأنفسهم؛ فقد خسروا أن يكونوا مع الحقّ، وخسروا الإيمان بالله وبالرّسول، وهو إضافيّ لأنّ الظّلم أنواع، ولا يقتصر على جحود آيات الله، وغرض هذا القصر هُنا إظهار شناعة ما يفعله المُكذّبون بآيات الله تعالى، المُنكرون للرّسالة وللرّسول.

الجاحدون بالآيات ظالمون للرّسول ﷺ، ولأنفسهم

توجيه اختلافِ تَعَلُّقِ الجحودَيْنِ:

الجحود الأوّل معلّق بالواحدنيّة، والثّاني معلّق بالنّبوّة، وخُتِمَتْ

الجحود إنكارٌ لما صدر عن الله أو عن رسوله ﷺ

(1) الآلوسي، روح المعاني: 11/ 7.
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 21/ 12.
(3) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 21/ 12.
(4) صافي، الجدول في إعراب القرآن: 20/ 346 - 347.

تلك بالكافر؛ لأنّه قسيم المؤمنين في قوله: ﴿يُؤۡمِنُونَ بِهِۦۖ وَمِنۡ هَٰٓؤُلَآءِ مَن يُؤۡمِنُ بِهِۦۚ﴾، وخُتمتْ هذه بالظّالمين؛ لأنّه جحد بعد إقامة الدّليل على كونه الرَّسول الذي صدر منه القرآن منزَّلا عليه، وهو أمّيٌّ لا يقرأ ولا يكتب، فهم الظّالمون بعد ظهور المعجزة[1].

معنى الباء في قوله: ﴿بِـَٔايَٰتِنَآ﴾:

قوله: ﴿وَمَا يَجۡحَدُ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَّا ٱلظَّٰلِمُونَ﴾؛ الباء للإلصاق والمصاحبة، فيكون جحودهم ملاصقًا لآياتنا، يقصدون من ذلك الصّدّ عنها، وعن الإيمان بها، بتكذيبها، والكفر بها، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿وَإِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَحۡدَهُ ٱشۡمَأَزَّتۡ قُلُوبُ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡأٓخِرَةِۖ وَإِذَا ذُكِرَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦٓ إِذَا هُمۡ يَسۡتَبۡشِرُونَ ٤٥﴾ [الزُّمر: 45].

استصحاب الإصرار على الصّدّ عن آيات الله

دلالة إضافة الآيات إلى ضمير العظمة:

على كلا الرّأيَين الأوّل القائل بأنّ معنى الآيات في ﴿بِـَٔايَٰتِنَآ﴾ في قوله تعالى: ﴿وَمَا يَجۡحَدُ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَّا ٱلظَّٰلِمُونَ﴾؛ هو الرّسول ﷺ، والثّاني القائل أنّ معنى الآيات هو القرآن الكريم فإنّ الإضافة إلى ضمير التّعظيم في كليهما جاءت لمزيد التّفخيم، ففيما ذُكِرَ غايةُ التّشنيع على مَن يجحد به[2]، لأنّ مصدر هذه الآيات في الحالين هو الله تعالى؛ وهذا من أعظم التّكريم للرّسول ﷺ ولكتابه الكريم المُنزّل عليه.

الإضافة إلى ضمير التّعظيم لمزيد التّفخيم

علّة التّعبير عن الكتاب بالآيات:

(الآيات) هو الكتاب نفسه الذي ذُكِر سابقًا، ومجموعها القرآن الكريم، وعُدِلَ عن لفظ الكتاب أو القرآن إلى لفظ الآيات مجموعةً؛ لإيمائه إلى معنى ما يَضمّه هذا الكتاب من الآيات البيّنات والمعجزات المتجدّدة التي لا حصر لها ولا عدّ، والقرآن يكشف من آياته للأجيال القادمة عن الجديد الذي لم يظهر للأجيال السّابقة.

إيماءةٌ إلى ما في هذا القرآن من بيّنات ومعجزات متجدّدة عبر الأجيال

(1) أبو حيّان، البحر المحيط: 8/ 362.
(2) الآلوسي، روح المعاني: 11/ 5.

نكتة تقديم شبه الجملة: ﴿بِـَٔايَـٰتِنَآ﴾:

تقديم شبه الجملة ﴿بِـَٔايَـٰتِنَآ﴾ في قوله: ﴿وَمَا يَجۡحَدُ بِـَٔايَـٰتِنَآ إِلَّا ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ دلّ على مزيد تفخيم واختصاصٍ وعناية بهذه الآيات؛ سواءٌ أكان المعنى آياتِ القرآن الكريم، أم الرّسولَ ﷺ نفسَه.

تخصيصٌ ومزيدُ عنايةٍ واهتمام بما يحويه لفظ (بـآيـاتـنـا) من معنى

دلالة الاستثناء بـ﴿إِلَّا﴾:

الاستثناء في قوله تعالى: ﴿وَمَا يَجۡحَدُ بِـَٔايَـٰتِنَآ إِلَّا ٱلظَّٰلِمُونَ﴾؛ استثناءٌ مفرّغ؛ لأنّه مسبوق بالنّفي وبحذف المستثنى منه، مما يعطي حرف الاستثناء ﴿إِلَّا﴾ معنى الحصر، ويكون الفاعل ﴿ٱلظَّٰلِمُونَ﴾، وأصل الكلام: يجحد الظالمون بها، والتّعبير بالاستثناء المفرّغ ههنا: نَفَى به كلَّ جاحدٍ بالآيات، وجعله مختصًّا بفاعل واحد دون غيره، وهم الظّالمون.

لا يَتَأتَّى الجحود بـآيـات الـقـرآن والرّسول إلّا من الظّالمين

دلالة التّعبير باسم الفاعل المجموع:

إنّ وقوعَ لفظ ﴿ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ فاعلًا في الآية، جاء للدّلالة على أنّ فعل الظّلم بجحود آيات الله تعالى يحصل منهم بِتَقَصُّدٍ وإصرارٍ على الباطل، وأنّ فاعليّتهم هذه في المجتمع نشاطٌ دائم دائب منهم لإغواء النّاس ولصدّهم عن آيات الله بقولهم عنه ﷺ وعن آيات الله ساحر وسحر، ومجنون وجنون، مع أنّ هذا الظّلم واقعٌ منهم على أنفسهم، لأنّ الذين ظلموا إنما ظلموا أنفسَهم بكفرِهم باللهِ[1].

تَـقَـصُّـدٌ وإصـرارٌ ونـشـاطٌ دائـبٌ لإغـواء الـنّـاس ولـصـدّهـم عن آيـات الله وعن الإيمان

معنى (أل) في ﴿ٱلظَّٰلِمُونَ﴾:

يدلّ التّعريف بـ(أل) في: ﴿ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ على استغراق جنس الظّالمين، ولكونِه بعد أداة الحصر فإنه يدلّ على القصر حقيقةً، أو تَجَوُّزًا بقصد المبالغة، فإن كان على الحقيقة فالمعنى: كلّ ظالمٍ هو جاحد لآياتنا، ولا يُسمّى الظّالم ظالمًا إلّا إنْ كان جاحدًا بالآيات وهو

استغراق جنس الظّالمين وقصر الجحود عليهم

(1) ابن جرير، جامع البيان: 18/ 428.

القرآن الكريم، أو جاحدًا بالرّسول ﷺ باعتباره صاحبَ الرّسالة، وإن كان على التّجوّز فهي للمبالغة وهي الأقرب إلى المعنى المُراد، وهذا يعكس إصرار الظّالمين على جحود آيات القرآن وآيات الرّسول ﷺ، والظّالِمونَ في هذه الآية، والمُبْطِلونَ في الآية السّابقة، يَعُمُّ لفظُهما كلَّ مكذِّبٍ بمحمّد ﷺ، ولكنّ معظم الإشارة بهما إلى قريش لأنّهم الأهمّ، في هذا الخطاب، وهو قول مجاهد[1]، وعلى هذا تكون (أل) فيهما عهديّة لا لاستغراق الجنس.

بلاغة التّذييل بجملة الفاصلة:

جملة ﴿وَمَا يَجْحَدُ بِـَٔايَـٰتِنَآ إِلَّا ٱلظَّـٰلِمُونَ﴾ تذييلٌ يُؤْذِنُ بأنّ المشركين جحدوا آيات القرآن على ما هي عليه من وضوح الدَّلالة على أنّها من عند اللّه؛ لأنّهم ظالمون جحدوا الحقّ، ويحملهم على جَحْدِه هوى نفوسِهم للظّلم، كما قال تعالى: ﴿وَجَحَدُوا۟ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا﴾ [النمل: 14]؛ فهم موغلون ظلمًا وعُلوًّا[2].

أمـارة الظّلم إنكار آيات الله مع ما فيها من الوضوح

(1) ابن عطيّة، المُحرَّر الوجيز: 4/ 322.

(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 21/ 13.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الثاني والأربعون،
سورة العنكبوت من الآية 04 إلى سورة الرّوم الآية 07
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1446هـ - 2024م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2024م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد الثاني والأربعون، سورة العنكبوت من الآية 04 إلى سورة الرّوم الآية 07
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2024.
مج. 42 ، 800 صفحة؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-732-93-8
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 42 : المجلد الثاني والأربعون، سورة العنكبوت من الآية 04 إلى سورة الرّوم الآية 07.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-732-93-8
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-2154237 بتاريخ 2024/12/25م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»